

ناصيف ال نصار ودوره السياسي في جبل لبنان ١٧٤٩ – ١٧٨٠

م. م سعد عزيز كريم الحميداوي

مديرية تربية ذي قار

Saadaziz07808@gmail.com

07808332829

تاريخ الاستلام : 2021-03-05

تاريخ القبول : 2022-02-27

ملخص البحث:

تؤلف دراسة الشخصيات التاريخية حلقة اساسية في سلسلة الجهود المبذولة عند كتابة التاريخ، وفي اطار دراسة تاريخ لبنان الحديث فأن من الضروري مواصلة الاهتمام بالكتابة عن الشخصيات التي اسهمت بشكل فعال في تاريخ لبنان الحديث ولها بصمات واضحة في مسيرة احداث ذلك التاريخ ولاسيما في الجانب السياسي، وقد عرف الجزء الجنوبي من لبنان بجبل عامل، أو بلاد بشارة نسبة الى اسرة بشارة التي استوطنت المنطقة منذ عقود طويلة، ويعتقد بعضهم ان هذه التسمية اطلقت حديثاً، بينما جبل عامل قد عرف منذ القدم.

ان دراسة هذه الشخصية من المواضيع المهمة في التاريخ اللبناني اذ يتم من خلالها التركيز على الاحداث السياسية للوقوف على الدور الذي قامت به، اذ تناول البحث شخصية مهمة اثبتت وجودها بشكل قوي في تاريخ لبنان وهي شخصية ناصيف آلَ نصار والتعرف على الاعمال التي قام بها ولابد ان يرافقها استعراض مقتضب لبعض التطورات السياسية في لبنان، فهناك علاقة بين تلك الشخصية والتطورات السياسية، لما اضطلع به من دور كبير في تاريخ لبنان فهو قائد مطاع ومقاتل شرس وامير حكيم ناضل من اجل استقلال لبنان.



كانت البداية بالنسب والولادة فهو من اسرة عرفت بزعامته لجبل عامل هي أسرة آل الأسعد ظهرت في منطقة جنوب لبنان بحدود أواخر القرن الثاني عشر، ولما كانت اصولهم ترجع الى اسرة علي الصغير الوائلية فلا غرابة، ان نجدها بدأت تأخذ دور القيادي في بلاد بشارة بالمشاركة مع بعض الاسر التي تقل عنها نفوذاً، ومن ثم عرجنا على ظروف زعامته والاساليب التي اتبعها في توحيد منطقة جبل عامل، وبيان الحلف مع ظاهر العمر ومحمد بك الكبير وتسليط الضوء على اهم المعارك التي خاضها ناصيف آَل نصار في حياته، وصراعه مع احمد الجزار الذي تمكن من هزيمة ناصيف وقتله في واقعة يارون اذ كان العقبة الوحيدة التي تقف للحيلولة دون دخول جبل عامل وضمها لسلطانه، لذلك دخل الجزار جبل عامل واستباحها فقتل المشايخ وفرض الضرائب وعاش الناس في رعب وخوف.

الكلمات المفتاحية: ناصيف – دوره – جبل لبنان.



Nassif Al Nassar and his Political Role in Lebanon Mountain between 1749 and 1780

Saad Aziz Karim Al-Hamidawi

Dhi Qar Education Directorate

Receipt date: 2021-03-05

Date of acceptance: 2022-02-27

Abstract;

The study of historical figures constitutes an essential episode in the chain of efforts made when writing history. Within the framework of the study of the modern history of Lebanon, it is necessary to continue to pay attention to writing about the personalities who contributed effectively to the modern history of Lebanon and had clear imprints in the course of the events of that history, especially in the political aspect. Bishara, which has settled in the area for decades, and some believe that this name was recently launched, while Jabal Amel has been known since ancient times The study of historical figures is an essential factor in writing history, and in studying the history of modern Lebanon, it is necessary to continue to pay attention to writing about the personalities who helped in the modern history of Lebanon and had a clear influence in on the events of that history, especially in the political aspect. The southern part of Lebanon is known as Jabal Amel or Belad Bishara. It is related to the Bishara family, which has inhabited the area for centuries and some people believe that this name was created recently, while Jabal Amel has been known for a long time The study of this character is one of the important topics in Lebanese history, through which the focus on the political events to know the role that he had so the research talks about an important figure who has proven his presence strongly in the history of Lebanon, the personality of Nassif Al-Nassar. We are talking briefly about the political developments in Lebanon. There is a relationship between that personality and the political developments, because of the great role he had taken in the history of Lebanon. He is a beloved leader, a fierce fighter, and a wise prince who suffered for the independence of Lebanon.In the beginning, he came from a family ruled Jabal Amel , it belongs to the Al-Asaad family, which appeared in the southern Lebanon region around the end of the twelfth century. After that, we talked about the circumstances of his leadership and the methods he followed in uniting the Jabal Amel region, and the statement of the alliance with Dhahir Al-Omar and Muhammad Bek Al-Kabeer, and talking about the most important battles that Nassif Al-Nassar fought in his life, and





his struggle with Ahmed Al-Jazzar, who was able to defeat Nassif and kill him in the Yarun battle. As it is the only problem that stands against entering Jabal Amel and annexing it to his authority, so Al Jazzar entered Jabal Amel and desecrated it, so he killed the sheikhs and he forced people to pay taxes, then the people lived in terror and fear.

Keywords: (Nassif - Role - Mount Lebanon)

المقدمة:

يعد ناصيف آل نصار من الشخصيات الشيعية اللبنانية التي ادة دوراً بارزاً في سبيل استقلال جنوب لبنان والتخلص من السيطرة الاجنبية ومقاومة التسلط والاستغلال فقد استطاع الاستقلال في منطقة جبل عامل بعد ان كانت تخضع الى حكم والي صيدا وكان عهده ازهى عهد عاشته منطقة جبل عامل تلك البقعة من الارض التي تقع في جنوب لبنان، وينسب اطلاق هذا الاسم الى قبيلة عاملة القحطانية والتي استقرت في بلاد الشام بعد انهيار سد مأرب، وهي تتكون من ثمان مقاطعات يحكمها حاكم ،اربع في القسم الجنوبي وهي هونين، تيشين، قانا وصور وفي الشمال اربع مقاطعات هي الشقيف، الشومر، التفاح وجزين تمتعت المنطقة في عهد ناصيف آل نصار بالحرية والاستقلال بعد ان كانت هناك العديد من المخاطر تهدد امن واستقرار جبل عامل سواء اكان من قبل الولاة العثمانيين او جيرانهم من الشوف او القبائل البدوية الاخرى وشاء القدر ان يحكم ظاهر العمر في فلسطين وناصيف ال نصار ووجود علي بك الكبير الذي استقل في حكم مصر وتشاركا هؤلاء في العداء الى الدولة العثمانية وحمل مشاريع استقلال.

اولاً: ناصيف آل نصار النسب والولادة

ويرجع نسبه الى محمد بن هزاع الوائلي وهو احد شيوخ قبيلة عنزه، الذين انتقل من نجد مع مجموعة من عشيرته واستقر في بلاد جبل عامل عام ١١٢٤م، التي كانت تحت نفوذ الشيخ بشارة بن مقبل القحطاني، وبعد ان تصاهر محمد بن هزاع الوائلي مع بشارة بن مقبل الذي انقطع نسله فلم يكن له وريث لذلك انتقلت المشيخة الى بنو وائل(الامين، ١٩٦١: ١١١).



وبعد خضوع بلاد الشام الى نفوذ الدولة العثمانية ١٥١٦ قسموا البلاد الى ولايات وتحكم كل ولاية من قبل والي، وبقي النظام الاقطاعي ويكون الحكم الى الامير او الشيخ من ابناء الاسر العريقة، وهو الحكم السائد في لبنان قبل وصول الدولة العثمانية والذي اصبح متجذراً فيها(ميرفان،٢٠٠٣: ١٨).

ويمكن القول ان السلطة العثمانية في جنوب لبنان في الاغلب هي سلطة شكلية مقتصره على جمع الضرائب، ويتمتع السكان في الجنوب بشجاعتهم وقوة حصونهم ووجود حلفاء لهم من نفس المذهب في بعلبك والبقاع والهرمل(ميرفان،٢٠٠٣: ١٨).

كان النفوذ في جبل عامل ينقسم بين ثلاث عوائل هم آل صعب[1]،في مقاطعة الشقيف وآل منكر[2]، في مقاطعة الشومر وفي بلاد بشارة تكون المشيخة (شيخ المشايخ) تحت نفوذ بنو وائل الذين لقبوا بعد ذلك بآل علي الصغير[3]، وكانوا امراء في جبل عامل(ابو نحل، ٢٠٠١: ٧٢) لعدة قرون، وكانوا على صراع دائم مع حكام صيدا ودمشق من اجل السيطرة على بلادهم، وفي خضم هذه الاحداث ولد ناصيف آل نصار عام ١٧١٣، وهو ناصيف بن نصار بن احمد بن حسين بن حمدان بن احمد بن نصار بن مشرف بن احمد بن نصار بن حسين بن علي آل صغير وهو بهذا يرجع في نسبه الى اسرة آل علي الصغير الوائلية وهي اسرة قدة تزعمت المشهد السياسي في جنوب لبنان من خلال الزعامات التي توالت على المشيخة واستطاعة ان تستقل سياسياً تميزت بمواقف ابناءه الرافض للسيطرة الاجنبية وكان ناصيف آل نصار من بين اهم الزعامات العاملية التي اثبتت قدرتها على مقاومة التسلط الاجنبي ومحاولة الاستقلال السياسي في جميع مناطق جبل عامل[4](صالح، ٢٠١٤: ٢٨١).

---

[1]() آل صعب: وهي احد الاسر التي برزة في جبل عامل ويرجع نسبهم الى اكابر زعماء الاكراد الذين كانوا اصحاب حظوة في الدولة الايوبية. ينظر: (درويش، ١٩٩٣ : ٧٢).

[2]() (محسن الامين، خطط، ١٩٦١: ١١٣).

[3]() وهو اللقب الذي اطلق على زعيم الاسرة علي بن حسين الوائلي بعد ان قتل والده على يد ال شكر وهو كان جنين في بطن امه والتي هربت به الى اهلها السوالمة وبعد ان كبر وأشتد عوده استطاع ارجاع المشيخة اليه(صالح، ٢٠١٤: ٣٧٩).

[4]() جبل عامل: وتسمى اليوم جنوب لبنان وان تسمية عامله ترجع الى قبيلة قحطانية نزلت في الشام بعد فيضان سد مأرب في اليمن، ويتكون جبل عامل من ثمان مقاطعات ويكون مساحته الاجمالية ٣٠٠٠ الاف كم، يتدينون الاسلام على المذهب الاثني عشري وهناك فئه قليله من السنة والمسيح(صالح، ٢٠١٤: ٢٨١).



ثانياً: زعامة ناصيف آل نصار

برز ناصيف ال نصار كزعيم جديد من آل علي الصغير عام ١٧٤٩، دأب على بناء وتجديد القلاع والحصون التي اصبحت مقرات عسكرية ومركزاً لحكومته، ثم جمع من حوله الزعماء والمشايخ والمقاتلين، اذ نعمت المنطقة في عهده بالأمن والعدل(بنوت، ١٩٩٣: ١٠١)، فعمل على توحيد الجبهة الداخلية والقضاء على الصراعات الداخلية سوى ان كانت داخل اسرة ال علي الصغير او مع باقي المشايخ في جبل عامل من آل منكر وآل صعب واعطائهم كل ما يعتقدون حق موروث لهم، وقام بتقسيم المقاطعات بينهم من اجل ارضاء الجميع وتوحيد صفوفهم بقيادته لمواجهة الاخطار المحدقة بهم وبذلك تخلص من ثغرة مهمة ممكن ان تكون نقطة ضعف يستغلها الاعداء، ويمدنا القنصل الفرنسي في صيدا بصورة مهيبة عن شخصية وشجاعة الشيخ ناصيف إذ قال: "**الشيخ الكبير الذي اشتهر بكل سورية بشجاعته**" (بنوت، ١٩٩٣: ١٠١).

على الرغم من الحملات المتتالية على جبل عامل من قبل الولاة العثمانيين، فضلاً عن ثورات آل علي الصغير وتمرد بعض زعمائهم، إلا إن مشايخ جبل عامل لم يستسلموا للولاة والامراء الغرباء عن بلدتهم وظلوا معارضين، كل ذلك ادى الى قيام خوض معارك عديدة وعمليات دفاع متكررة وصد الاعتداءات المستمرة وتطور هذا الدفاع ليصبح قوة لا يستهان بها تقف بوجه ولاة الدولة العثمانية والامتناع عن دفع الضرائب الغير عادلة، فكانت المواجهة بنسبة لهم ثورة ضد الظلم(رزاق،٢٠٠٥: ٥٠).

اتخذ ناصيف آل نصار منحى آخر في سياسته وتطلعاته بعيداً عن حدود جبل عامل، إذ بلغت في عهده اسرة آل علي الصغير اقصى حدود شهرتها، اذ تمكن ناصيف ال نصار من توحيد مشايخ الجبل من آل منكر وآل صعب تحت رايته متخذاً من قلعة تبنين مقراً لحكومته تلك المنطقة المعروفة بأبراجها الشامخة وحصونها المنيعة واخذ يتطلع لتخلص من سيطرة الدولة العثمانية(ال صفا،١٩٤٩: ٥٠).

ومع قوة الزعيم الجديد ناصيف آل نصار، إلا إن جبل عامل كان يتعرض خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر لبعض الهجمات من قبل أمراء آل شهاب، ويبدو انها كانت بتحريض من الولاة العثمانيين، فضلاً عن ظهور ظاهر العمر[٥](

[٥]() ظاهر بن عمر: ينتسب الى الزيادين ،ولد عام ١٦٨٦، تولى حكم صفد وطبرية بعد ابية ١٧٣٧ ، وسع ممتلكاته على حساب دمشق وصيدا فصار متصرفا في صيدا عام ١٧٣٣ اتخذ من عكا مقر لحكومته عام ١٧٤٦ توفي ١٧٧٦. للمزيد. (مؤلفين، ١٩٩٣: ١١٦).



مؤلفين، ١٩٩٣: ١١٦)،كقوة جديدة في فلسطين تحاول مدة نفوذها الى جبل عامل(مؤلفين، ١٩٩٣: ١١٦) (بنوت، ١٩٩٣: ١٠١).

ثالثاً: ناصيف آل نصار والحلف الثلاثي

استقل ظاهر العمر في فلسطين بعد ان طرد الولاة العثمانيين، كما ان ناصيف ال نصار قد جعل لحكم جبل عامل مستقل عن الدولة العثمانية بعد ان كان تحت نفوذ والي صيدا مع التمتع بالاستقلال الداخلي ونفوذ شكلي فقط، ونتيجة لظهور هذه القوة المنافسة لآل الصغير في المنطقة، فقد اندلع الخلاف مع ظاهر العمر في عام ١٧٦٦، بسبب اعتقاد العمر بأن الحروب الطويلة التي خاضها الشهابيون في جبل عامل قد ارهقتهم اقتصادياً وعسكرياً، وكانت قرية البصة التي تقع تحت نفوذ ناصيف ال نصار هي نقطة الخلاف بين الطرفين، إذ إن ظاهر العمر ضمها الى سلطانه، كونها تابعة الى فلسطين وارسل الى ناصيف آل نصار يخبره بذلك وقد ادرك الغاية من وراء ذلك، كان الرد عنيفاً اذ ان ناصيف ابلغ الرسول ان يبلغ سيده ليس عندنا جواب غير النار والسيف، وبعد بلوغ الرد الى ظاهر العمر، هجم على بلاد جبل عامل فتصدت له جيوش ناصيف آل نصار، وحدثت بين الطرفين معركة قوية، انتصر فيها جيش العاملين وكاد ناصيف ان يقتل ظاهر العمر بعد ان انقض عليه ووضع الرمح فوق صدره، لكنه عفا عنه(ال صفا،١٩٤٩: ١١٧)، وبعد ان رأى ظاهر العمر القوة التي عليها جيش ناصيف ال نصار، رغب بالصلح لاسيما ان عكا التي كانت مقر حكومة العمر، قد تعرضت الى العديد من المخاطر، وعدم اطمئنانه الى الأمراء الشهابين فضلاً عن العداء بين الوالي العثماني عثمان باشا الكرجي (جابر،١٩٧٩: ١٣٠)، وجعلهم خط دفاعي وتم عقد التحالف بين الطرفين عام ١٧٦٧ اذ قسم الاثنين ان يكونوا مع شعبيهم قوتين متضامنتين مادامت الارض والسماء، وربما كان للسماحة والشهامة التي ابداها ناصيف وعزوفه عن قتل ظاهر العمر بعد ان تمكن منه دور في هذا الصلح، وظهر جبل عامل طرف من الاطراف المعادية للدولة العثمانية وكان للتحالف اثر كبير في تقوية ناصيف آل نصار داخلياً وخارجياً(بيضون،١٩٨٩: ٤١٩).

لم يكن الامر خافي عن الدولة العثمانية، فهي تراقب تحركاته وتطلعاته في الاستقلال وقد اشتد ازره بعد حلفه مع ظاهر العمر واخذ الزعيمان يتطلعان للاستقلال وخلع سيادة السلطة العثمانية اذ كانت في مرحلة ضعف وتعاني من هزائم متكررة على يد الجيش الروسي، ومن الطبيعي ان يثير ذلك التحالف بين ظاهر العمر وناصيف ال نصار، مخاوف الدولة العثمانية

التي أمرت واليها على صيدا عثمان باشا بالتحرك صوب بلاد جبل عامل والاعداد لمهاجمة ناصيف آل نصار، عندها استعدت جيوش ناصيف آل نصار، وحليفه الجديد ظاهر العمر وعسكرت في مقام النبي يوشع الذي دارت فيه معركة قوية بين الطرفين، اثبت فيها ناصيف مواهبه القيادية في ادارة المعركة ووضع الخطط الحربية، انتهت بانتصار قوات جبل عامل على القوات العثمانية التي تكبدت خسائر فادحة في الارواح والمعدات(العرفان،١٩٣٨: ١٢٣).

وبعد أن استقل علي بك الكبير في مصر عن الدولة العثمانية، بعث الى ظاهر العمر يخبره بضرورة التخلص من السيطرة العثمانية، جهز علي بك الكبير حملة عسكرية بقيادة محمد ابو الذهب، ادركت القيادة في جبل عامل اهمية هذا الفعل، فعملت على ارسال قواتها لمساندة قوات ابو الذهب(بنوت،١٩٩٣: ١٠٥-١٠٧)،اذ توغلت الجيوش المتحالفة بقيادة ابو الذهب حتى وصلت دمشق عام ١٧٧١، فضربت الحصار على المدينة، حيث تصدت لها قوات الوالي عثمان باشا خيمة القوات خارج المدينة وارسل ابو الذهب كتاب الى اعيان المدينة يطلب تسليمها والدخول في طاعته، فخرج العلماء والعوام يطلبون الامان ثم دخلت الجيوش المدينة، اما عثمان باشا قد خرج من المدية متوجها الى دمشق ثم الى حمص وبداء يجمع الانصار لاسترجاع المدينة وارسل في سبيل ذلك النصرة من الامير يوسف الشهابي الذي لبا طلبه وبدأ الاستعداد لشن الهجوم، لكن حدث بعد هذا النصر تطور مفاجئ، إذ إن القائد المصري الذي كان عليه اتمام الزحف باتجاه اراضي بلاد الشام فاجأ حلفاءه بقرار الانسحاب من دمشق وتسليم السلطة الى القائد المكلف بحماية القلعة من الجيش المصري والقوات المتحالفة معه قلعتها وعندما سأله علي بك عن سبب الانسحاب اشتكى من الشيخ ظاهر العمر وعنجهية اولاده فارسل بكتاب يلوم فيه العمر الذي رده من جانبه مبيناً عدم صحة ما يقول وانه قد فأجئ الجميع بانسحابه، وبعدها اتضحت خيانة ابو الذهب الذي اتجه بجيشه الى الصعيد واعلن التمرد على سيده (الفقيه، ١٩٨٦: ١٠٨)، وربما يكون هذا الانسحاب بعد تحقيق النصر، هو خشية ابو الذهب من تعقيد الاوضاع واستفزاز الدولة العثمانية التي لا يمكن ان تسكت عما حدث، فلابد ان تقوم بعمليات تأديبية ضدهم خشوا منها فقدان مكانتهم مما جعل ابو الذهب يغير من موقفه اتجاه استمرار الحرب ضدها او ان ابو الذهب قد خان سيده نتيجة وعود اعطيت له من قبل الباب العالي(العرفان، ١٩٣٩: ٥٥).

وهكذا كان هذا الانسحاب فاتحة لضرب التحالف والقضاء عليه، فبدأ الامر بظاهر وتلاه ناصيف ال نصار (مؤلفين،١٩٩٦: ٣٢١-٣٣٨)،اذ جهزت الدولة العثمانية حملة عسكرية قوية لمحاصرة عكا وبدأت مدافع العثمانيين تدك



عكا بعد محاصرتها عندها حاول الشيخ ظاهر العمر الفرار، إلا انه قتل في عام ١٧٧٦، بعد ان رماه احد المغاربة بطلقة نارية في صدره عند خروجه من باب المدينة(الفقيه، ١٩٨٦:٢٣٨-٢٤٠).

رابعاً: المعارك التي خاضها ناصيف آل نصار

كانت هناك العديد من المخاطر التي تهدد امن جبل عامل، والتي كانت تهديد لنيل استقلاله وهي الفكرة المتأصلة في قلوب ابناءه، فكان على ناصيف ال نصار ايجاد الحل الى هكذا مخاطر، فكانت الدولة العثمانية تامر والي صيدا قيام حملات تأدبيه للقضاء على نفوذ جبل عامل والقضاء على استقلاله، او من خلال حملات وادي الشوف ووادي التيم والتي كانت تتصف بالقسوة والبطش وقتل النساء ولأطفال، وبما ان الدروز وجبل عامل هم ضمن ولاية صيدا ولأيمكن لزعمائهم التدخل في الولايات الاخرى، لذلك اصبحت عداوة استمرت لقرون عديدة(ظاهر،١٩٨١: ٤٥٨).

لم يكن الخطر يكمن في الشمال فقط بل القبائل في الجنوب مصدر قلق وخطر مستمر اذ ان الجنوب فيه قبائل بدوية ذات قوة وباس امثال الحولة ومرج بن عامر، وهناك قبائل في نواحي صفد وحتى جبال نابلس والتي اعتادت على القيام بغزوات من اجل الحصول على الغنائم، وظهر في المناطق قوة ظاهر العمر وتمثل قوة جديدة طامعة بالتوسع والسيطرة على القرة الحدودية مما يتطلب وضع حد لهذه التدخلات(ال صفا،١٩٤٩: ١١٧).

وقف ناصيف في وجه الولاة العثمانيون الراغبين في وضع البلاد تحت الحكم العثماني المباشر وفرض التجنيد والضرائب لذلك استعد ناصيف آل نصار لمواجهتها لأنها تعد العدو الاكبر الذي يهدد استقلال جبل عامل، واجه هجوم والي صيدا مصطفى باشا عام ١٧٥٣ على بلدة انصار وتم دحر الجيش الذي قام بحرق ونهب جميع القرى التي مرا بها وقد تمكن جيش ناصيف من مباغتته وهزيمته، وبعد عودة والي صيدا عام ١٧٥٩ بهجوم على بلدة الشقيف وحرق ونهب بيوت اهلها تصدى له الشيخ ناصيف وهزمه وتم ملاحقة الجيش المهزوم حتى خروجه من البلدة (مؤلفين،١٩٩٦: ٦٦).

وفي وقعة اخرى عندما امرت الدولة العثمانية والي دمشق بالتعاون مع والي صيدا لإخضاع جبل عامل، سار عثمان باشا والي صيدا بحملة عسكرية كبيرة نحو جبل عامل وتقدمت الجيوش التي عسكرت بالقرب من بحيرة الحولة عام١٧٧١، وصلت انباء الحملة الى ناصيف آل نصار الذي ارسل الى ظاهر العمر واستعد للتصدي للحملة، ومع وصول معسكر عثمان باشا الى سهل الحولة قام قوات جبل عامل بالهجوم على المعسكر ومداهمته فوجى الجيش بهذا الهجوم المباغت وانهزم هزيمة شنيعة



حتى قتل العديد من الجيش المهاجم مما ادى الى فرار عثمان باشا، كانت نتائج المعركة رد حاسم من قوات ناصيف على الظلم الذي عانوه من خلال حكم الولاة واثبتت المعركة قدرات ناصيف العسكرية الى جانب الامكانيات السياسية (العرفان، ١٩٣٨: ٢٨)، وفي مناسبة الانتصار نظم شعراء جبل عامل هذه الابيات:

"اكرم الخيل اذ وفدت   اذ ذاك بناصيف البطل

بحر يحبوك بلجته   والبحر ضنين بالوشل

سل يوم البحرة ما فعلت   كفاه بفرسان الدول"(ال صفا،١٩٤٩: ١٢٢)

وبعد مهاجمة والي صيدا سعد الدين العظم قرية (انصار) وقتل ابنائها وحرق زرعها مما دفع ناصيف آل نصار بالرد ومهاجمة والي صيدا في وادي بين انصار وقلعة ميس يسمى (مغراقة انصار) وهزيمته، ثم حدثة معركة اخرى بعد ثلاث اشهر في (رأس العين) حتى قتل في المعركة ثمانين رجلا من الطرفين(رزاق،٢٠٠٥: ٦٤).

اشترك ناصيف آل نصار بمعارك عديدة وكان النصر هو حليفه، فيذكر انه لم يهزم في معركة قط، فقد انتصر في معركة(كفر رمان) عندما اخذ عثمان باشا يترقب الفرصة للرد على الهزيمة التي تكبها جيشه في معركة البحيرة، وخذ يجري اتصالات مع حليفه يوسف الشهابي وفي ١٨ تشرين الاول ١٧٧١حضر الى صيدا مندوب من قبل والي الشام وحضر معه يوسف الشهابي وقرر اثناء الزيارة الهجوم على جبل عامل وبالمقابل اعفاء الامير يوسف من الخراج لمدة عامين، بدأ يوسف الشهابي بالهجوم على القرى الأمنة وقدر الجيش ب اربعة الاف مقاتل، وكان جيش جبل لبنان يسير بأربع فرق مجهزة ومتهيئة اما جيوش مشايخ القرى في الجنوب كانت مكونة من خمسمائة فارس والف من المقاتلين المشاة، عندها كتب احد المشايخ الى ناصيف آل نصار يستنجد للدفاع عن مقاطعته، انتشرت الاخبار وانطلقت القصائد والاهازيج لدب الحماس لدى المقاتلين، وهب ناصيف الى نجدتهم وجهز جيشه(رزاق،٢٠٠٥: ٦٤).

ومن الطريف في هذه المعركة ان ناصيف آل نصار ارسل كشافا امام الجيش وعندما عاد الفارس من تقصي اخبار الجيش المهاجم بدأ يهول بقوة الجيش وسلاحه وعدده فنهره ناصيف وامر بسجنه، ثم ارسل كشافا اخر ويبدوا انه فهم الدرس فعندما



عاد اكد ان الجيش معظمه غير مسلح وغير منظم ويمكن هزيمته بسهولة لذلك اثنى عليه واعطاه الخلع(ال صفا،١٩٤٩: ١٨٢).

يبدوا ان الامير يوسف الشهابي اغتر بجيشه وبدأ مطمئناً كأنه في نزهة لذلك انعزل عن الجيش مع فرقته الخاصة فاستغلت جيوش جبل عامل الفرصة وتم الهجوم على فرقة الامير من ثلاث جهات وما ان رأى ان الخطر داهمه، لم يصمد بعدها في ارض المعركة تاركاً جيشه يذوق طعم الحديد والنار ولاذ بالفرار، وفي هذه الاثناء وصل جيش ناصيف الذي هاجم على عين غرة وبدا الصياح واطلاق النار فانسحب الجيش المهاجم باتجاه قرية كفرمان واستمرت المعركة حتى حلول الظلام، وفي صباح اليوم التالي كان الجيش قد انهك وفقد عزيمته، اما ناصيف فقد تابع الجيش الفار وتمكن من الامير يوسف الشهابي وطرحه ارضاً وبعدها قال له عفوت عنك احتراما لأسرتك ورأفة بشبابك وانا بن ناصيف فقال الامير وانتم قدها يا اولاد ام علي وهو لقب يطلق على زعماء جبل عامل وهم يفتخرون به، ويبدوا ان هذا العفو كان السبب بان يتخلى عن العثمانيون ويتحالف الامير الشهابي مع ناصيف ال نصار وظاهر العمر عام ١٧٧٢ وبقى هذا الحلف حتى وفاة ظاهر العمر عام١٧٧٦، وبهذا الانتصار استطاع جبل عامل التخلص من الحملات المتكررة التي تهدد امنهم واخذوا يديرون شؤونهم بأنفسهم عن طريق مشايخهم المحليين وامتنعوا عن دفع الضرائب (رزاق،٢٠٠٥: ٦٥).

وانبراء شعراء جبل عامل ينشدون:

"وابن امير الشوف يوم صال　　　من عرب صالبن على الوادي نزل

في عساكر عدها تسعون الف　　　او تزيد عداد خوفاً ان نزل

من ارض بيروت للشوف العريض　　　من بلاد الجبل كم فارس وصل

شي دروز وشي يهود وشي خنوف　　　شي نصارا شي كرد وشي ملل

وانثنى على ناصيف يقول　　　ان هذا الامر ماعاد ينحمل

سيفهم ناصيف يانعم العقيد　　　شاهرا للسيف في ايد ويقل

صاح مير الشوف هاتولي الحصان　　　عن عظم ماصار جابولو بغل"(ال صفا،١٩٤٩: ١٣٠).



بعد انتصارات ناصيف في المعارك السابقة اراد والي صيدا يوسف باشا، اعادة الهيبة الى الوالي العثماني عثمان باشا واستتأنف الهجوم وانطلقت الجيوش باتجاه جبل عامل عام ١٧٧٢، انتخب ناصيف خمسمائة فارس من فرسانه الابطال المجربين ليداهموا جيوش الوالي بالقرب من قرية الحارة وما انتهت المعركة الا بانتصار فرسان جبل عامل وعودة الجيوش منسحبة الى صيدا(ال صفا،١٩٤٩: ١٣٠)، وانتصرت جيوش جبل عامل بقيادة ناصيف ال نصار في معركة (الحمادة) بعد ان هزم جيش والي صيدا عثمان باشا الذي حاول اعادة الكرة بعد معركة الحارة بشهور وقتل منهم عددا كبيرا ولم يقتل في جيشه الا رجل واحد وهو (جبر الحماده) وكان ناصيف لا ينهب ولا يحرق ويحترم النساء والشيوخ ويتجنبهم في المعارك، فقد انجمعت به شمائل الفارس العربي الشهم(الامين، ١٩٨٣: ٢٠٥)، يقول عنه القنصل الفرنسي في صيدا شيفا لير دي توليس(chevalier detaules) في رسالة منه الى الدوق ديغيوت (daijuillon) بتاريخ ٣٠ نيسان عام١٧٧٢ " **انهم شجعان وانتصاراتهم الاولى اعطتهم الثقة بالنفس، بالإضافة الى القيادة التي اعطتهم الثقة بالنفس فهم بالتالي قمة في الشجاعة"(مؤلفين، ١٩٩٣: ١٠٨).**

وانشد احد شعراء جبل عامل بعد انتصارهم اهزوجة في لهجتهم الشعبية قال فيها:

"قال ولد مريح في بياتو شكل   في زمان كل احواله شكل

سائلوا من كان داري بالأمور   تاتشوفوا أيش محصوله شكل

وقعة صارت على جيش الدروز   رحت أنشد عاذلي عنها وسل

واشرح اللي صار فيها بالقريض   واقترحها لأجل ما صار وحصل

عسكر جروه عاديرة جباع   كالجراد وقايده ليث وفحل"(الفقيه،١٩٨٦: ٢٢٣).

خامساً: ناصيف آل نصار واحمد الجزار

بعد القضاء على عهد ظاهر العمر في اب ١٧٧٥ وتولى احمد باشا الجزار[٦](حتى، ١٩٦٧: ٤٨٠)، ايالة صيدا في ٢٠ كانون الاول ١٧٧٥، ودانت له فلسطين بالسيطرة واستقوى امره ولم يتحول الى صيدا بل لبث في عكا لحصانة اسوارها وارسل من ينوب عنه في الحكم الى صيدا، عندها اراد الجزار ان يخضع جبل عامل الى حكمه مستذكراً حلفهم ضد الدولة العثمانية مع ظاهر العمر، غير أن وجود الشيخ ناصيف النصار صاحب القوه والسلطان، كان العقبة الاكبر في تنفيذ هدفه، وهكذا أخذ الجزار بين حين والاخر يقود الجيوش على جبل عامل ويتحين الفرص للإطاحة بجيش ناصيف ال نصار الا انه لم يقم بأي هجوم دون اوامر من الدولة العثمانية، حتى وصل فرمان من الاستانة يأمره بالتحرك بجيش لتأديب جبل عامل، لم يستطع هزيمتهم حتى تقدم الجزار في عام ١٧٨٠، بجيش كبير من الجبهة الجنوبية قدر بثلاثة الاف مقاتل، زاعماً انه يريد الاجتياز نحو وادي تيم لتأديب العصاة، لكن ناصيف ال نصار ادرك قصد الجزار، فاسرع ومن معه من الخيالة الذين كان عددهم، لا يتجاوز سبع مئة فارس، وكانوا يرابطون معه في حصن تبنين ولم ينتظر قدوم الامدادات الاخرى لمقاتلة جيش الجزار، اذ كان ناصيف ورغم قلة جيشه بطلاً مقداماً تعود خوض المعارك وممارسة الحرب فحملته الجرأة على منازلة ذلك الجيش بفرسانه القليلة العدد دون ان ينتظر وصول باقي جيشه ودارت المعركة بين الطرفين، وخلال المعركة زلت قدم جواد ناصيف ال نصار على بلاطة في ساحة المعركة، وهنا عاجله بعض الجند بإطلاق الرصاص عليه فخر قتيلاً وتشتت جنوده(العرفان،١٩٣٥: ٣٦٥).

وفي تلك المعركة التي سمية واقعة يارون أشار بعض الشعراء الى شجاعة ناصيف آل نصار، اذ كتب الشاعر ابراهيم بن يحيى شعراً من القصيد البدوي يصف فيه شجاعة ناصيف آل نصار وبطولته اذ قال فيها:

"قتل بن نصار فيا الله من　　　مولى شهيد بالدماء مضرج

وتداولتنا بعد ايدي العدى　　　من فاجر او غادر او اهوج

هي دولة عم البلاد الظلم في　　　تاريخنا والله خير مفرج"

---

[٦]() احمد الجزار: ولد في البوسنة عام ١٧٣٥، من اسرة مسيحية، هرب الى استانبول بعد ارتكابه جماً اخلاقياً وباع نفسه الى تاجر رقيق يهودي ، ثم استقر به المطاف عبداً من عبيد علي بك الكبير باشا لم يلبث طويلا حتى اعتقه واقامه جلاداً ضد خصومه عرف ببطشه وقساوته لذلك لقب بالجزار، توفي عام ١٨٠٤.ينظر: (حتى، ١٩٦٧: ٤٨٠).



وله قصيدة يشرح فيها ما جرى بعد فقد زعيمهم ناصيف

يقولون بعد الالف اعظم شدة وقرب العدى اشد واعظم

يعز علينا ان نروح ومصرنا لفرعون مغنى يصطفيه ومغنم

وكان لها من آل نصار صارم صقيل وسهم لا يطش ولهذم

جواد جرى والسابقين الى العلى فجاز مداها والكرام تجمجم

قضى في ظلال المرهفات مطهرا واي شهيد لا يطهره الدم

فقدناه فقدان الصباح ومن لنا بطلعته الغراء والدهر مظلم"(الفقيه،١٩٨٦: ٢٥٢-٢٥٣)

وهكذا عاش ابناء جبل عامل بعد فقدان زعيمهم ناصيف ال نصار، حالة من عدم الامن والاستقرار وكانوا ضحية الاطماع العثمانية، كان لنجاح الجزار الصدى الكبير في الاستانة حيث ارسل السلطان هدية الى احمد الجزار عبارة عن خلع ثمينة وسيف مطرز، وهو دليل على مدى تخوف الدولة من الدور الفاعل لناصيف آل نصار في خلق معارضة قوية قادرة على هزها وارباكها.

الخاتمة

ان حب الحرية والنزعة الاستقلالية متجذرة في نفوس جبل عامل فقد قاوموا الظلم والاستبداد وجاهدوا في التخلص من كافة انواع الظلم والعبودية، وقد خضع جبل عامل مثل غيره من الولايات العربية لنظام التلزيم، وكانت الأسر الإقطاعية تخضع بشكل او بأخر الى أمير مقاطعة جبل لبنان او يخضعون الى الوالي العثماني في دمشق او الوالي في صيدا الا ان هناك اختلاف في جبل عامل عن غيره اذ ان الحكم الاقطاعي فيه وقتذاك حكماً وطنياً شجع على تنامي الروح الوطنية واشتدت الروابط بين القوى الشعبية العامة مع زعمائهم مما حال دون تدخل الدولة العثمانية بصورة مباشرة في شؤونهم الداخلية، حتى ان فرض الضرائب كان مغايراً عما عليه في المقاطعات الاخرى فكانت تجمع مرة واحدة في العام خلاف الى المقاطعات الاخرى التي تجمع فيها الضرائب مرتان او ثلاث في العام الواحد.



وهذا ما يؤكد ان الناس في جبل عامل عاشوا في عزة وكرامة حتى في زمن الحرب فلم يكن هناك حاكم جائر يظلمهم او ضرائب ترهقهم، وان طبيعة العلاقة مع الولاة العثمانيون في دمشق وصيدا كانت يسودها الود والاحترام تارة والقتال والنزاع تارة اخرى، ومن بعد حملات متكررة لإخضاع جبل عامل ظهر الزعيم ناصيف آل نصار كقائد ميداني وسياسي محنك استطاع ان يجمع كافة المقاطعات الجنوبية تحت قيادته وتحالف مع ظاهر العمر، حتى تمكن من تكوين قوة ضاربة يهابها الجميع، نعمت خلالها جبل عامل بالاستقلال والرفاهية حتى مقتل الزعيم ناصيف آل نصار على يد الوالي العثماني احمد الجزار والذي دخل اراضي جبل عامل واستباح الدماء والاموال والاعراض.

المصادر والمراجع

١. ابراهيم درويش، جبل عامل بين ١٥١٦– ١٦٩٧الحياة السياسية والثقافية، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٣.

٢. احمد بيضون ، الصراع على تاريخ لبنان ، بيروت ، ١٩٨٩ .

٣. اسامه محمد ابو نحل ،الحكم الاقطاعي لمتاولة جبل عامل في العهد العثماني ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الازهر، غزة ، ٢٠٠١.

٤. جبل عامل في قرن ،" العرفان " مجلة ، مج٢٨، ج١،بيروت ،١٩٣٨.

٥. جبل عامل في قرن ،" العرفان " مجلة ، مج٢٨، ج١،بيروت ،١٩٣٨.

٦. جهاد بنوت ، حركة النضال في جبل عامل ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٧. حسن الامين، مجلة العرفان، مج٧٠، ج١، بيروت .

٨. حسن محمد صالح ، الجوهر المجرد في تاريخ الامير ناصيف النصار والأمراء من ال الاسعد ، ج١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت،٢٠١٤ .

٩. حسن محمد صالح، الجوهر المجرد في تاريخ الامير ناصيف ال نصار والامراء من ال الاسعد، ج٢، بيروت، ٢٠١٤.



١٠.رامز رزاق ، ميس الجبل لؤلؤة جبل عامل ، دار الهادي ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

١١.سحر ماهود محمد ، اثر الارساليات التبشيرية الاوربية في واقع التعليم في جبل لبنان ١٨٠٠ – ١٨٥٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٢.

١٢.صابرين ميرفان، حركة الاصلاح الشيعي، علماء جبل عامل وأدباءه من نهاية الدولة العثمانية الى الاستقلال، تعريب هيثم الامين، بيروت،٢٠٠٣.

١٣.فيليب حتى، مختصر تاريخ لبنان، ترجمة فؤاد جرجيس نصار، بيروت، ١٩٦٨.

١٤.مجموعة مؤلفين ، لبنان في القرن الثامن عشر، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٦.

١٥.محسن الامين، اعيان الشيعة، ج١، بيروت، ١٩٦١.

١٦.محسن الامين، تاريخ اعيان الشيعة، مج١، دار التعارف، بيروت،١٩٨٣.

١٧.محسن الامين، خطط جبل عامل، ج١، بيروت ، ١٩٦١.

١٨.محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ .ط٢، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٦.

١٩.محمد جابر ال صفا ، تاريخ جبل عامل، بيروت ، ١٩٤٩ .

٢٠.مسعود ظاهر، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ١٦٩٧-١٨٦١، الانماء العربي، بيروت، ١٩٨١.

٢١.منذر جابر، الكيان السياسي لجبل عامل قبل ١٩٢٠ ، بيروت ، لبنان ١٩٧٩ .

٢٢.مؤرخ فرنسي يروي حوادث جبل عامل، "العرفان" مجلة، مج٢٦، ج٥،بيروت، ١٩٣٥.

المصادر والمراجع باللغة الانكليزية

1. A French historian narrating the incidents of Jabal Amel, "Al Irfan" magazine, Vol. 26, Part 5, Beirut, 1935.



2. A group of authors, Lebanon in the Eighteenth Century, House of the Arab National Team, Beirut, 1996.

3. Ahmed Baydoun, The Conflict over the History of Lebanon, Beirut, 1989.

4. Collection of Authors, Lebanon in the Eighteenth Century, House of the Arab National Team, Beirut, 199.

5. Hassan Al-Amin, Al-Irfan Magazine, Mag 70, C1, Beirut.،

6. Hassan Muhammad Salih, The Abstract Essence in the History of Prince Nassif Al Nassar and the Emirs of Al-Asaad, Part 2, Beirut, 2014.

7. Hassan Muhammad Salih, The Abstract Essence in the History of Prince Nassif Al-Nassar and the Princes from Al-Asaad, Part 1, Dar Al-Mahajjah Al-Bayda, Beirut, 2014.

8. Ibrahim Darwish, Jabal Amel between 1516-1697 Political and Cultural Life, Dar Al Hadi, Beirut, 1993.

9. Jabal Amel in Qarn, "Al Irfan" magazine, Vol. 28, Vol. 1, Beirut, 1938.

10. Jihad Banout, The Struggle Movement in Jabal Amel, Beirut, 1993.

11. Masoud Zahir, The Historical Roots of the Lebanese Sectarian Question 1697-1861, Arab Development, Beirut, 1981.

12. Mohsen Al-Amin, History of the Notables of the Shiites, Vol. 1, Dar Al-Ta'rif, Beirut, 1983.



13. Mohsen Al-Amin, notables of the Shiites, Part 1, Beirut, 1961.

14. Mohsen Al-Amin, The Plans of Jabal Amel, C1, Beirut, 1961.

15. Muhammad Jaber Al Safa, History of Jabal Amel, Beirut, 1949.

16. Muhammad Taqi Al-Faqih, Jabal Amel in History, 2nd Edition, Dar Al-Adwaa, Beirut, 1986.

17. Munther Jaber, the political entity of Jabal Amel before 1920, Beirut, Lebanon 1979.

18. Osama Muhammad Abu Nahl, The Feudal Rule of the Governor of Jabal Amel during the Ottoman Era, College of Arts and Humanities, Al-Azhar University, Gaza, 2001.

19. Philip Even, A Brief History of Lebanon, translated by Fouad Gerges Nassar, Beirut, 1968.

20. Ramez Razzaq, Mays Al Jabal, Pearl of Jabal Amel, Dar Al Hadi, Beirut, 2005

21. Sabreen Mirvan, The Shiite Reform Movement, The Scholars and Writers of Jabal Amel from the End of the Ottoman Empire to Independence, Arabization of Haitham Al-Amin, Beirut, 2003.

22. Sahar Mahoud Muhammad, The Impact of European Missionaries on the Status of Education in Mount Lebanon 1800 - 1856, Unpublished Master Thesis, College of Education for Girls, University of Baghdad, 2012.